العرب
الجمعة 2021/10/29
السنة 44 العدد 12224

«على الهامش».. دراما مصرية تحذر من غدر الأزواج

نرمين الفقي تسقط في فخ الخلط بين المرأة الشعبية والسيدة الأرستقراطية

قد يكون الكفاح مناسبا لكل شخص ينتمي للطبقة الشعبية أو الأرستقراطية، لكن أن يكون شعبيا وأرستقراطيا في آن واحد فهذه ليست براعة فنية ما لم يستطع الممثل التحوّل بسهولة من حالة إلى أخرى، والفنان أو الفنانة التي تقدّم صياغة مركّبة من هذا النوع تسعى لتثبت شيئا ما لنفسها قد يكون لا علاقة للجمهور به، وهي مشكلة وقعت فيها الفنانة المصرية نرمين الفقي بطلة مسلسل "على الهامش" الذي انتهت أخيرا قناة "دي.إم. سي" المصرية من عرض حلقته العاشرة والأخيرة.

امرأة شعبية بأناقة مفرطة!

القاهرة - تملك الفنانة المصرية نرمين الفقي وجها مريحا مكنها سابقا من تقديم العديد من الأدوار الفنية بما يتناسب مع تطوّرات عمرها، وكلما غابت عن التلفزيون لفترة تعود أكثر تألقا لأنها تحسب خطواتها بدقة، لذلك جاءت غالبية الأعمال التي جسّدتها، ومنها مسلسل "لؤلؤ" و"ضل راجل" خالية من التكلّف، لكن في حكاية "على الهامش" ضمن مسلسل "إلاّ أنا" في موسمه الثاني بدا الدور أقل قربا من شخصيتها الناعمة، لأن السيدة المكافحة التي يطردها زوجها في الشارع بعد حياة مرفهة تماما وتلجأ للسكن في حارة شعبية يصعب أن تكون أرستقراطية أيضا.

العمل يطرح قضية اجتماعية مفادها عدم الثقة في الزوج، فعلى المرأة أن تؤمّن مستقبلها بوظيفة تحفظ كرامتها

وقعت الفقي في فخ النهم الفني أو الإعجاب بدور شيّق دون الانتباه إلى أن هذا الدور له مقاييس يجب أن تلتزم بها، فالأناقة والجمال والرشاقة الطاغية التي ظهرت بها في شخصية ياسمين في هذا العمل، والتي تحوّلت من الغنى إلى الفقر المدقع من الواجب أن تكون مقنعة لأبعد درجة، فالكفاح مهم، ولا غبار على الفقر في حد ذاته، كما أن الانكسار يمكن أن يتعرّض له أي شخص في الحياة.

وعندما تقدّم هذه التوليفة للمُشاهدين من المهم أن تكون أركانها مكتملة وغير متنافرة مع الواقع، فهناك جمهور عريض جذبه المسلسل وتابعه باهتمام لأن القصة تنطوي على مضمون اجتماعي محبّب، وبالتالي كان على طاقم العمل ألا يتقنوا فقط اختيار الشخصيات بل من المهم مراعاة الطريقة التي يظهرون بها وتناغمها مع الواقع.

تناغم منقوص

بالطبع لا يوجد تناقض بين الأناقة والفقر، أو الكفاح والرفاهية، لكن الفجوات الفنية التي وقع فيها المخرج أحمد شفيق في شخصية ياسمين تفتح بابا للحديث عن أهمية المواءمة بين الشكل والمضمون، لأن زوجها رجل الأعمال "رفعت" وقام بدوره الفنان صبري فواز الذي طردها بعد أن اكتشفت خيانته مع صديقتها لم يمنحها شيئا من متعلقاتها، مثل ملابسها ومجوهراتها وأموالها، بمعنى أنها انحدرت من قمة الهرم الاقتصادي إلى القاع، وهنا جاءت المفارقة حيث بدت ياسمين وهي تبحث عن عمل وتجده في مطعم أو معرض سيارات أو سوبر ماركت كأنها لم تفارق حياتها الأولى.

ربما يكون المخرج أراد توصيل رسالة تتعلّق بحالة الشخص الذي تجور عليه الأيام، ويضطر للقبول بأعمال ما كان يقبلها في حياته السابقة، وربما أراد العزف على هذه الازدواجية للاستفادة من نضج الفقي الفني، وقدرتها على الانتقال من الهدوء للصخب، والجمع بين سكان المنتجعات والعشوائيات في مصر.

في كل الأحوال، طرح مسلسل "على الهامش" قصة اجتماعية كانت رسالتها مباشرة أكثر من اللازم في بعض الحكايات، وهي عدم الثقة في الزوج، وعلى كل سيدة أن تؤمّن مستقبلها بوظيفة أو توفير أموال تحسبا من أن تواجه مصير ياسمين التي يطردها زوجها في الشارع بلا مأوى، وأدّى اللعب على هذا الوتر إلى إثارة انتباه الكثير من السيدات، للدرجة التي بدت فيها شخصية "إنجي" البغيضة التي خطفت زوج صديقتها، وقامت بدورها الفنانة المغربية جيهان خليل نموذجا لدى بعضهنّ.

وجاءت الإثارة الفنية من صعوبة رسم الشخصيات بدقة، ففي بعض الأعمال يختار الممثل أو الممثلة ويكتب المسلسل أو الفيلم ويتم اختيار طاقم العمل، وفي بعضها يكتب لأجله أو لأجلها، وهو ما يحتاج إلى حنكة فنية عالية، كما حدث في الكثير من الأعمال التي قدّمها الفنان الشهير عادل إمام وكانت جيدة ومنضبطة ومناسبة له.

ومع ذلك بدت المبالغة ظاهرة في آخر عمل لعادل إمام، وهو مسلسل "فلانتينو" الذي عرض منذ نحو عامين، فقد حاولت الشركة المنتجة استغلال اسمه اللامع بلا مراعاة لمدى قدرته على تجسيد الدور الذي كانت بعض مشاهده متسمة بالكثير من الافتعال والمبالغة.

ولا يعيب هذه الطريقة سوى عدم تناغم الدور مع صاحبه، وفي حالة الفقي، هي فنانة موهوبة وقادرة على التنويع في أدوارها، لكن خطأها في "على الهامش" أو خطأ المخرج بمعنى أدقّ أنه حاول توظيف إمكانياتها لأقصى مدى بصورة غير دقيقة، فهي قماشة فنية من السهل تشكيلها، وكان يجب مراعاة السمات الطاغية في كل طبقة اجتماعية، والتي جاءت غير محكمة في بعض الأحيان بما كشف عن هوة فنية.

لم يأخذ المخرج أحمد شفيق والمؤلفة والسيناريست أماني التونسي من الحارة الشعبية في مصر سوى تداخل الناس واهتمامهم بشؤون غيرهم وتطفلهم على كل شخص غريب يسكن بينهم، وعندما لجأ إلى ضبط هذا الإيقاع بالغ في الشهامة و"الجدعنة"، وتسبّب عدم الاتساق في تركيب المكان مع البيئة العامة في خلل انتاب بعض المشاهد.

رسم الشخصيات

ظهر هذا الأمر في المشهد الذي اصطحب فيه الشاب أدهم وقام بدوره محمود حفيد الفنان الراحل محمود ياسين، أمه ياسمين، إلى الحارة الشعبية، وخوفا من اتهامها بأنها على علاقة غير شرعية به لجأ السائق الذي قام بتوصيلهما إلى المنزل الشعبي للإيحاء بأنه يعمل ضابطا للشرطة كي يرتدع الناس عن التنمر بها، فشخصية الضابط التي أداها الفنان أمير كرارة في مسلسل "كلبش" ووصف بـ"باشا مصر" متداولة في الأماكن الشعبية كدليل على القوّة والنفوذ والشهامة.

ويشعر المشاهد في هذا العمل أن الفقي أرادت اكتشاف نفسها، وقد تكون نجحت في أداء الدور من جوانب فنية متعدّدة، غير أنها لم تتدرّب على الحياة الشعبية والتأقلم معها، ولم تنفعها الإشارات المتقطعة بأنها "بنت بلد" وأصلا تنتمي إلى منطقة شعبية قبل زواجها وانتقالها لحياة المنتجعات التي تغلب عليها الراحة الزائدة.

وهي إشكالية يتغلب عليها بعض الفنانين بالتدريب والمحاكاة الواقعية، فعندما قام الفنان الراحل أحمد زكي بدور بواب في فيلم "البيه البواب" لجأ إلى الاحتكاك بحياة هذه الطبقة، وفهم مفاتيح الشخصية التي جسّدها بطريقة محكمة.

حافظت الفقي وهي تمثل دور ياسمين على حياتها السابقة وهي تنتقل إلى حياة جديدة قاتمة، على الرغم من التخلي عن الأولى بكل ما تحمله من رفاهية، وهذا التحوّل يحتاج إلى نعومة وسلاسة في الانتقال من بيئة إلى بيئة أخرى مختلفة عنها تماما، ويبدو أن الفقي لم تنتبه إلى الفروقات بين البيئتين، ما جعل بعض المشاهد غير متناسقة فنيا.

وحفل "على الهامش" بالكثير من الدروس والعبر والقيم الإنسانية التي باتت سمة رئيسية في الأعمال الدرامية المصرية مؤخرا، وتدور محاورها حول مؤسّسة الزواج ومشاكلها، ومنها الحيرة التي يعيشها الأبناء في حالة انفصال الأب والأم، والحياة الخاصة التي يعيشها كل منهم في ظل انعدام الرقابة، والمطبات التي يتعرضون لها في حياتهم بسبب الحرية الزائدة عن الحد، وهي ثيمة مكرّرة أصبحت أقرب إلى المواعظ والإرشادات أخفق المسلسل في تجنب الكثير منها.

قد تكون الفقي خطت خطوة كبيرة في هذا العمل من خلال تجسيدها دور الأم المكافحة والمغلوبة على أمرها، والتي بدت مختلفة عن تلك التي جسّدتها في مسلسل "أم العروسة" بجزأيه الأول والثاني، وكانت أمّا لفتاة وأكاديمية انفصلت عن زوجها، وعاشت بمفردها حياة متقلبة.

ومع ذلك يحسب للفقي جرأتها في أداء دور الأم لأولاد وبنات في سن الشباب، وهو ما تخشى منه بعض الفنانات، ويحسب لها تمكنها من تحمل بطولة العمل، فهي النجمة الأولى فيه، وهذا لا يقلّل من قيمة النجوم الآخرين، وظهرت متوهّجة وكأنها نهمة لتقديم أعمال درامية ذات أبعاد إنسانية، فالمُشاهد يتلمّس ذلك بسهولة عبر مسحة الفرح على وجهها وهي تمثل دورا حزينا، وهو فرح التمثيل الذي يجعل صاحبه متوهّجا.

«وثيقة شرف» عشارية سورية عن الصداقة وخيباتها

دمشق - قبل أكثر من عام خصص عثمان جحا وقتا لكتابة مسلسل يحمل عنوان "وثيقة شرف"، يومها -وبسبب انتشار فايروس كورونا- وضع السيناريست السوري عمله على المحك دون أن يكشف عن الجهة الإنتاجية التي ستتصدّى للمسلسل أو المخرج الذي سيتولى إخراجه. وبقي المشروع الدرامي طيّ الكتمان قبل أن يتمّ تحريكه أخيرا، حيث تأكّد تعاون عثمان جحا مع الكاتب مؤيّد النابلسي في كتابة ثنائية تجمعهما للمرة الأولى، فيما تولى باسم السلكا دفة الإخراج، وتصدت شركة "أفاميا للإنتاج الفني" لإنتاجه.

وعن المسلسل يقول الكاتب مؤيد النابلسي "وثيقة شرف هو عبارة عن جزأين، أي عشاريتين، يتمّ حاليا تنفيذ الجزء الأول منه. وتدور أحداث العمل حول حكاية أربعة أصدقاء ينتمون إلى بيئات مختلفة، إلاّ أنهم اجتمعوا في الحي العشوائي، ووقعوا وثيقة شرف متعاهدين على الإخلاص والتفاني فيما بينهم، لنجد ذلك العهد يذهب أدراج الرياح عند أول اختبار حقيقي لهم، وتتحوّل الصداقة بينهم إلى صراع دام سببه المال والمرأة".

وكشف النابلسي أنه عمل مع الكاتب عثمان جحا على نص "وثيقة شرف" منذ أربع سنوات، إلاّ أنه انشغل بعمل "بان أراب" حمل عنوان "سر" وبعض الأعمال المتفرّقة الأخرى، ومن ثم عادا مجدّدا لتنشيط المشروع وتم الاتفاق مع المخرج باسم السلكا لتنفيذه، وانضم إلى بطولته -إلى حد الآن- الفنانان مهيار خضور ومديحة كنيفاتي.

وحول خصوصية العمل القصير يلفت النابلسي إلى أن كتابة نص من عشر حلقات يختلف بشكل تام عن الأعمال الطويلة، فالعمل القصير المجهّز للعرض على المنصات يتم بناء حكايته بتقنية أقرب إلى السينما منها إلى التلفزيون.

ومع تزامن تصوير عملين اجتمع في كتابتهما مع جحا -وهما "وثيقة شرف" و"ولاد البلد"- وما إذا كان هناك مشروع لورشة كتابة بينهما، يؤكّد النابلسي أن جحا قامة فكرية وموسوعة أدبية لا يستهان بها، إلاّ أن هذه الشراكة المتتالية ليست مشروع ورشة دائمة، بل هو محض صدفة أن يجتمعا بعملين يصوّران في آن واحد.

وإن كان "وثيقة شرف" دراما اجتماعية معاصرة فإن "ولاد البلد" -الذي جمع الكاتبين في ثاني تعاون بينهما- يدور في فلك دراما البيئة الشامية، وهو مكوّن من ثلاثين حلقة من إخراج أحمد إبراهيم أحمد، ويعود العمل إلى زمن الاحتلال العثماني لبلاد الشام، تحديدا في نهاية الدولة العثمانية، معالجا صراع الأغوات في تلك المرحلة.

ويجمع المسلسل المزمع عرضه خارج السباق الرمضاني المقبل كل من سلوم حداد وباسم ياخور وفادي صبيح ونظلي الرواس ونضال نجم وغيرهم من الممثلين السوريين.

مهيار خضور يخون العهد وكلمة الشرف

وبدوره قال الكاتب عثمان جحا -الذي عرف عنه عدم استعجاله كتابة مشاريعه الدرامية، حيث استغل فترة الحجر الصحي بسبب انتشار فايروس كورونا للتحضير لنصه الجديد- "يروي المسلسل حكاية أصدقاء طفولة وشباب تعاهدوا على أن يكونوا معا، فكتبوا وثيقة شرف. لكن مسالك الحياة تخضعهم إلى قانونها، حيث تفرّقهم ليلتقوا بعد عشرين سنة، ليجدوا أنفسهم في مواجهة بعضهم البعض، وأمام المصالح الشخصية تموت وثيقة الشرف التي خطّت في الماضي وتصبح المصلحة أهم من كلمة الشرف".

وكان مسلسل "دارين" الذي عرض على قناة "بين" المشفّرة آخر عمل درامي عرض لجحا عثمان، وهو من إخراج علي علي وبطولة عباس النوري وورد الخال وهبة نور، ويدور حول طبيب يتبرّع بقلب ابنته المتوفاة وكليتيها لإنقاذ حياة فتاة أخرى، ما يمهّد لمفاجأة كبيرة حول علاقة هذه الفتاة بعائلته.

وتعدّ عشارية "وثيقة شرف" الأولى التي ينتظر عرضها خلال الموسم الشتوي القادم، بعد تعوّد سوريا على إنتاج هذه النوعية من الدراما التي حقّقت العديد من النجاحات خاصة على المنصات الإلكترونية الجاذبة لجمهور الشباب بما تحمله من تكثيف بعيد عن مطّ الأحداث.

وشهد العام 2021 ظهور عدد كبير من المسلسلات السورية القصيرة، كان آخرها عشارية "عش الغراب" للمخرج وليد درويش وتأليف سامر عادلة، وهي دراما بوليسية تجمع بين التشويق والأكشن، وتتنوّع محاورها بين طموح الشباب وواقعهم من ناحية وماضي كبار السن وتاريخهم من ناحية أخرى، بحيث تتأرجح الشخصيات بين الماضي والحاضر وتتقاذفها رغباتها الجامحة.

وتجري أحداث المسلسل في غابة تشهد العديد من الملاحقات والمطاردات والأحداث الشيقة والمفاجآت التي تحبس الأنفاس، إضافة إلى الأطماع التي تؤدي بأصحابها إلى ارتكاب جرائم قتل والغدر بين الأصدقاء.

عثمان جحا

المسلسل يؤكّد أن متغيرات الحياة تُخضع الإنسان إلى قانونها

ويشارك في هذه العشارية كل من حسام تحسين بيك ووضاح حلوم وجمال العلي وأمية ملص وعلا باشا وربا المأمون ومحمد خاوندي وعامر علي ووسيم الرحبي ومؤيد الخراط ورشا إبراهيم ومجد مشرف وطارق نخلة ووسام أبوصعب ورهام عزيز ولبابة صقر وآية سليمان ونور شاهين.

ومؤخرا انتهى مدير الإضاءة والتصوير عباس شرف من تصوير أولى تجاربه الإخراجية في عالم الدراما السورية عبر عشارية "روز" من تأليف الفنان طلال ماردينى وبطولته، إلى جانب كل من باسم ياخور ومريم علي ونادين تحسين بيك ويارا قاسم وعبدالرحمن قويدر وأمير برازي وآخرين. وهو عمل بوليسي يطرح تنوّعا صريحا بين الخيانة والحب والعطاء والتضحية والكثير من التناقضات الإنسانية المتشعّبة.

وخلال الموسم الرمضاني الماضي عرضت سلسلة "بصمة حدا" في أكثر من فضائية عربية، وهي سلسلة تضمّنت ثلاثية روائية هي "طبق الأصل" و"انتقام بارد" و"البرزخ"، وتغوص في الدراما النفسية التي تكشف عورات المجتمعات العربية عموما والمجتمع السوري خاصة، الذي أنهكته الحرب ممّا انعكس سلبا على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام.

وبعيدا عن الدراما النفسية قدّمت الدراما السورية خلال العام الجاري سلسلة "أسرار" التي نفّذ منها حتى اللحظة مسلسل "صدفة" الذي جاء في ثماني حلقات عن نص لفايزة علي وأخرجه سامي جنادي، وشارك في بطولته كل من أيمن زيدان وصفاء سلطان وحسام تحسين بك وشكران مرتجى وحازم زيدان وجمال العلي وآمال سعدالدين.

كذلك عرض مسلسل حمل عنوان "الروليت" من تأليف معن سقباني وإخراج سعيد رمضان، وهو من عشر حلقات، شارك في بطولته كل من جرجس جبارة ويحيى بيازي ورشا بلال وكرم الشعراني ولمى بدور وطلال ماردينى. والعمل بوليسي تشويقي يعتمد على كشف ملابسات جريمة تقع أثناء جلسة جمعت عددا من الشبان والشابات في لعبة الروليت الروسية، وتداعيات ذلك على حياتهم.